

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم

جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن

كلية الآداب – قسم التاريخ

دراسة تاريخية لتوزيع القبائل العربية في فلسطين ودورها في العصر الأموي

إعداد

الدكتورة/ علياء يحيى علي الجبيلي

أستاذ التاريخ المشارك بقسم التاريخ –كلية الآداب

جامعة الأميرة نوره بنت عبد الرحمن

الرياض ١٤٣٧ هـ /٢٠١٦م

ملخص الدراسة

دراسة تاريخية لتوزيع القبائل العربية في فلسطين ودورها في العصر الأموي

عرف العرب بلاد الشام قبل الإسلام منذ زمن بعيد، من خلال الهجرات العديدة المتعاقبة ، وذلك عندما ضاقت وسائل العيش بالقبائل العربية في منازلها بجزيرة العرب ، فنزحت شمالاً نحو الشام والعراق ، بحثاً عن منازل أخرى في الوديان والسهول الغنية بالعشب. ولم تقف تلك القبائل عند حدود إدارية معينة في هجرتها، فسكنت في بلاد الشام ووصلت إلى فلسطين حيث نزلت القبائل العربية وترحلت بها، ابتداء من وادي عربة في جنوب فلسطين وعبر فلسطين وبادية البلقاء وبادية الشام، وكانت القبائل تقيم فيما تختار من منازل إلى أن تلحق بها بطون أخرى، أو تنزل إلى جوارها قبائل أخرى.

وعندما بدأت الفتوحات الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، أخذت أعداد العرب المهاجرة تتكاثر في بلاد الشام وفلسطين، واستمرت هذه الهجرات خلال العصر الأموي ، حتى قيل عن هجرات العرب بعد الفتح الإسلامي إلى فلسطين وبلاد الشام، إنها كانت أعظم موجة للهجرات من جزيرة العرب في تاريخ موجات الهجرات العربية التي تعاقبت منذ العصور القديمة.

وانقسمت القبائل العربية في المنطقة إلى قسمين وهما: اليمانية المهاجرة من جنوب الجزيرة العربية وكانت الأسبق في الهجرة، والقيسية وهم عرب الشمال والتي جاءت مع الفتوحات الإسلامية.

وفي مطلع العصر الأموي، شهد التوزيع القبلي لهذه القبائل استقرار كبير في فلسطين وتمتعت بامتيازات سياسية واقتصادية واجتماعية، ويرجع السبب في ذلك لأن هذه القبائل ، كانت تمثل السند والعضد القوي للخلافة الأموية، بل وأصبح لها دور كبير في سير الأحداث السياسية في الدولة.

إلا أن هذه القبائل، ما لبثت وأن تأثرت بما أحاط بها من أحداث ومشاكل تمثلت في الثورات والانقسامات القبلية، ونتج عنها الصراع بين اليمانية والقيسية، ذلك الصراع الذي لم يقتصر على بلاد الشام وفلسطين وإنما أصبح خارج تلك المنطقة، فانتشر في معظم أقاليم الدولة الإسلامية.

ونتيجة لهذه الصراعات القبلية، خرجت هذه القبائل عن طاعتها للأمويين، وأصبحت بلاد الشام عموماً وفلسطين خاصةً مركزاً للصراعات والثورات والفتن ضد بني أمية، بعد أن كانت الحصن المنيع للدولة الأموية .

ومن خلال هذه النبذة السريعة عن القبائل العربية في فلسطين، فإن موضوع الدراسة بإذن الله سوف يكون (دراسة تاريخية لتوزيع القبائل العربية في فلسطين ودورها في العصر الأموي) محاولة من خلال الدراسة التعرف على أهم القبائل التي سكنت في فلسطين ، وإبراز دورها وتأثيرها على تلك الفترة .

الباحثة :
د. علياء يحيى علي الجبيلي
أستاذ التاريخ المشارك – قسم التاريخ – كلية الآداب
جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن الرياض
(الرياض - المملكة العربية السعودية)

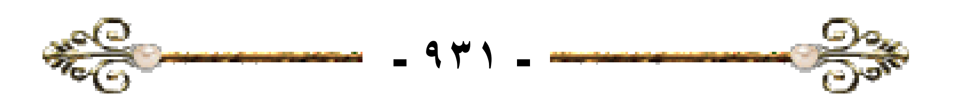
الملخص باللغة الانجليزية

Historical study of the distribution of Arab tribes in Palestine during the Umayyad era

Arabs knew the Levant before Islam, long time ago(from ancient times), through the many migrations, after the life became difficult in the Arabian Peninsula, they migrated north towards Syria and Iraq to looking for water and grass.They lived in the Levant and spread in Palestine between Wadi Araba , the south of Palestine ,desert Balqa, and desert Sham then lived with other tribes.When the Islamic conquests began in the era of the Caliphs, it increased migration of Arabs to the Levant and Palestine until the Umayyad era . Arab tribes split into two parts:

The first part Yemeni tribes who migrated from south of Arabian Peninsula (from Yemen) , they were the first to emigrate because the life was difficult .

The second part Qaysiyah tribes who migrated from nouth of Arabian Peninsula , they were come after Islam , Yemeni tribes and Qaysiyah tribes Joined with the Umayyad . When second Muawiyah died , Qaysiyah and Yamania fighting



together , because Yemeni tribes need Umayyad rule , but Qaysiyah tribes need Abdullah bin Zubair rule. They fought at a place called (Marj Rahat). They continued in the war until the end of the Umayyad era

The Researcher

Dr. Aljubaily, Alia, Yehya, A

Associate Professor - Department of History - Faculty of Arts

Princess Noura Bint Abdul Rahman University

Riyadh (Saudi Arabia)

مقدمة

حينما أصبحت بلاد الشام تحت الحكم البيزنطي في نهاية القرن الرابع الميلادي، قسمت إدارياً إلى ثلاثة أقسام رئيسة: سوريا وفينيقيا وفلسطين، وقسمت فلسطين إلى ثلاث أجزاء إدارية وهي :

١ – فلسطين الأولى: وكانت قيسارية مدينتها الرئيسة وضمت القدس ونابلس ويافا وغزة وعسقلان وغيرها.

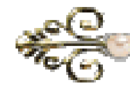
٢ – فلسطين الثانية: ومركزها بيسان ومن مدنها طبرية .

٣ – فلسطين الثالثة: ومدينتها الرئيسة البتراء وأحياناً بصرى الشام .

وعندما تم الفتح الإسلامي لبلاد الشام، اهتدى العرب المسلمون لهذه التقسيمات الإدارية، فقسموا بلاد الشام إلى أجناد، وكان من أهمها جند فلسطين، الذي كان يقع جنوب سهل عكا، ويحده البحر المتوسط غرباً وصحراء النقب جنوباً والبحر الميت (بحيرة لوط) وغوطة الأردن شرقاً.[١]

---

(١) فيليب حتى: تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، جـ١، ص٣٨٨. وذكر تقسيم المسلمين لإقليم فلسطين بعد الفتح الإسلامي أن جند فلسطين كان أول الأجناد من ناحية الجنوب، وشمل ما عرف في العهد البيزنطي باسم فلسطين الأولى وفلسطين الثالثة.





ومن الأخبار التي وردت في المصادر العربية في تقسيم بلاد الشام، ما ذكره ياقوت الحموي[١] (وأما الجند فيجئ في قولهم: جند قنسرين وجند فلسطين وجند حمص وجند دمشق وجند الأردن فهي خمسة أجناد وكلها بالشام، ولم يبلغني أنهم استعملوا ذلك في غير أرض الشام) .

أما المقدسي[٢] فقد ذكرها بقوله: (فلسطين قصبتها الرملة ومدنها بيت المقدس وجبرين وغزة وميماس وعسقلان ويافة وأرسوف وقيسارية ونابلس وأريحا وعمان).

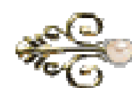
كما ذكرها ابن حوقل[٣] (وأما جند فلسطين أول أجناد الشام مما يلي الغرب. فإنه تكون مسافة للراكب طول يومين من رفح إلى حد اللجون وعرضه من يافا إلى ريحا يومان، وأما زُغر وديار قوم لوط والجبال والشراة، فمضمومة إليها وهي منها في العمل إلى أيلة وديار قوم لوط والبحيرة الميتة وزغر إلى بلدان وطبرية تسمى الغور لأنها بين جبلين وسائر بلاد الشام مرتفع عليها وبعضها من الأردن وبعضها من فلسطين. ....

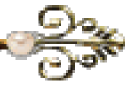
---

(١) معجم البلدان، جـ١، ص٣٨.

(٢)أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٨٦.

(٣)صورة الأرض ، ص ١٧٠.





وفلسطين ماؤها من الأمطار وأشجارها وزرعها أعذاء إلا نابلس فإن بها مياه جارية، وفلسطين أزكى بلدان الشام، ومدينتها العظيمة الرملة وبيت المقدس يليها في الكبر)

في حين قال عنها الاصطخري[١] (أن جند فلسطين ضم من ناحية الشرق بادية البلقاء وهي بادية تقع شرق البحر الميت وشمال جبل الشرة، أما ناحية الشمال فكان جند فلسطين ينتهي عند مدينة بيسان، وما بعد بيسان فقد تبع جند الأردن وفي ناحية الغرب يتصل جند فلسطين بمنطقة الجفارة وهي أرض كلها رمال سائلة تمتد إلى مصر)

واتفق القزويني[٢] في حدود فلسطين مع ما ذكره الاصطخري، أما اليعقوبي[٣] فقد أوضح لنا حدودها بما ذكره: أن جند فلسطين منطقة إدارية حربية، كان ينتهي عند بيسان، أما إقليم فلسطين فكانت حدوده تمتد شمالاً إلى جبال الجليل، ويشمل المنطقة الإدارية التي ضمت جند الأردن وجند دمشق.

(١)المسالك والممالك ، ص ٢٠.

(٢)آثار البلاد وأجناد العباد، ص١٧٩.

(٣)البلدان ، ص ٣٢٥- ٣٢٨.

ومن خلال ما ذكره المؤرخون في وصفهم لجند فلسطين يظهر أن هذا الإقليم امتد شمال البحر الميت [(١)] إلى بحيرة طبرية وجبال الجليل، وامتد جنوب البحر الميت إلى خليج العقبة، أما من شرق البحر الميت فقد ضم إقليم بادية البلقاء، وامتد غرب البحر الميت إلى البحر المتوسط.

وإقليم فلسطين بأجناده الثلاثة: جند فلسطين، وجند الأردن، وجند دمشق. كان عند العرب منطقة واحدة تسمى الأرض المقدسة [(٢)].

وفي العصر الأموي، كان يجاور هذا الإقليم من ناحية الغرب دولة الروم أعداء الدولة الأموية، ومن الشرق إقليم العراق، ومن الجنوب إقليم الحجاز، ومصر في جهة الجنوب الغربي، واتصل الإقليم شمالاً بجند حمص أحد أجناد الشام[(٣)]، وحسب هذه التقسيمات الإدارية، أصبحت فلسطين جنداً من أجناد الشام وظلت جزءً أصيلاً في الدولة الإسلامية ومتفاعلاً مع تطوراتها السياسية والحضارية.

---

(١)البحر الميت: وكان يسمى عند المؤرخين القدماء بحيرة فلسطين، جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٣، ص٢٩.

(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف ، ص ٧٣. جواد علي : المرجع السابق ، جـ٣، ص ٢٦.

(٣)محمود كرد علي: خطط الشام ، جـ١، ص ٦٣.

أولاً القبائل العربية في فلسطين قبل الإسلام وبداياته:

كان الوجود العربي في فلسطين قد بدأ مع بداية العرب الكنعانيين، واستمر يقوى مع ازدياد الهجرات العربية إلى هذه البلاد. ومع بداية الألف الأول قبل الميلاد كان ظهور كيانات سياسية عربية جديدة وهي: الأنباط ثم قضاعة في الجنوب وتدمر في الشمال والغساسنة بينهما، وانتشر أثناءها وبعدها العديد من القبائل العربية التي استوطنت فلسطين وبلاد الشام الجنوبية، دون أن تستطيع تكوين كيان سياسي متكامل لها، بل إنها دخلت تحت نفوذ الكيانات العربية السابقة أو تحالفت مع البيزنطيين. (١)

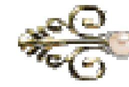
ومن أبرز هذه القبائل كانت قضاعة، تنوخ، الضجاعمة، عذرة، كلب، عاملة، مدحج، جذام، لخم، قيس، كندة، وبنى مضر. (٢)

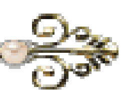
وبعد أن ثَّبت الإسلام نفسه في شبه الجزيرة العربية، كان لابد من مواصلة نشر نوره في مناطق أخرى، حيث انطلاق

---

(١) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية ، جـ١، ص١٠٨. ويشير محمود كرد علي أنه " لم تطل حياة عنصر في الشام كما طالت حياة العرب... وهم الذين اندمج فيهم عامة الشعوب القديمة واستعربت، فلم تعد تعرف غير العربية لساناً ومنزعاً" المرجع السابق، جـ١، ص ٦٣.

(٢) فاروق عمر فوزي، محسن محمد حسين: الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط ، ص ٢٤-٣٤.





الفتوحات الإسلامية، ونهاية الوجود الفارسي في العراق، والروماني في بلاد الشام .

وحظيت بلاد الشام وفلسطين بعد الفتح الإسلامي بالاهتمام والرعاية من الخلفاء الراشدين، فاهتموا بإدارتها إدارة سليمة، من خلال ولاة أكفاء كان هدفهم الأول أن يشعر الناس بالأمان وتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي، لذلك ولي عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– معاوية بن أبي سفيان والياً على بلاد الشام، والذي عمل على حفظ التوازن بين القبائل العربية وإلغاء التمايز بين القيسية واليمانية إلى أن أصبح خليفة للمسلمين سنة ٤٠هـ/ ٦٦١م، وأسس دولة بني أمية، وجعل عاصمتها دمشق، وأصبح مقر الخلافة الإسلامية في بلاد الشام. (١)

ومع قيام الدولة الأموية حظيت بلاد فلسطين باهتمام كبير من الخلفاء الأمويين، ووضح ذلك منذ بداية قيام دولتهم، عندما أعلن معاوية بن أبي سفيان نفسه خليفة، واستهل عهده بالذهاب إلى بيت المقدس وأعلن خلافته، وبذلك بدأت فلسطين مرحلة جديدة من مراحل تاريخها. (٢)

---

(١)ابن الأثير : أسد الغابة ، جـ٤، ص٣٨٧. الذهبي : دول الإسلام ، جـ١، ص ٢٠.
(٢)نبيه عاقل: فلسطين من الفتح العربي الإسلامي إلى أواسط القرن الرابع الهجري، ص ٢٤٧.

ثانياً: قبائل فلسطين في العهد الأموي :

كما سبق القول أنه خلال العصر الأموي، تمتعت بلاد الشام وخاصة فلسطين، بامتيازات كثيرة، وكانت لها مكانة كبيرة عند خلفاء بني أمية، وكان هذا الإقليم يشكل السند القوي للخلافة الأموية، وأصبحوا عصب الجند الأموي، بالإضافة إلى أهميتها الدينية والتاريخية.

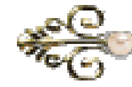
وانقسم العرب في فلسطين والشام في العصر الأموي إلى قسمين الذين عرفوا بهما في التاريخ، وهما عرب الجنوب وعرب الشمال.

أما عرب الجنوب فهم اليمانية نسبة إلى اليمن في جنوب الجزيرة العربية، وأما عرب الشمال فهم العدنانية ، وقد عرفوا في الشام بالقيسية نسبة إلى قيس التي كانت أكبر قبائلهم هناك. [(١)]

وكان معاوية بن أبي سفيان، الوالي والخليفة قد عمل على إلغاء التمايز بين اليمانية والقيسية، واستطاع أن يحقق ويحفظ التوازن بينهم. وقد ساهمت هذه السياسة الحذرة والمتوازنة في التخفيف من حدة العصبية القبلية. كما حظيت هذه القبائل التي

---

(١)عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي ، جـ١، ص ١٤٠. يوسف حسن غوانمه: القدس وفلسطين والأردن في العصر الإسلامي، ص١٣.





نزلت فلسطين من عرب الشمال والجنوب بالاهتمام والرعاية واحتل بعضعها مكانة في نفوس الحكام وتعاونوا معهم، واحتكوا بالأحداث التي مرت بالبلاد وكان لهم دور فيها، ومن أبرز هذه القبائل العربية في فلسطين:

قبيلة قضاعة وكانت من أوائل القبائل العربية اليمانية التي نزحت إلى الشام[١]. وكانت لها بطون كثيرة، فهي مجموعة قبلية يمانية تكون من قبائل عديدة ومن أشهرها: بنو جرم بن ربان، وكلب بن وبرة. ومن قضاعة كذلك عذرة وبنو كنانة وبنو سليح والتي انقسمت إلى بطون أيضاً، وأشهرها الضجاعمة ونزلوا فلسطين كذلك عند مآب وانتشروا حول القدس[٢]. وعلا شأنهم في عهد الروم واعتنقوا النصرانية وانضمت إليهم. [٣]

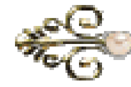
وكان من بطون قضاعة الواسعة الانتشار في فلسطين بطن يسمى بلى، وقد نزلوا جبال الشراة، وامتدت منازلهم من معان

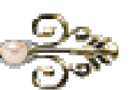
---

(١)ابن هشام : سيرة ابن هشام ، جـ١، ص ١٠- ١٣. المسعودي: مروج الذهب ، جـ٢، ص ١٨٢.

(٢)الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جـ٤، ص ٢٠٩. محمود كرد علي: المرجع السابق ، جـ١، ص ٦٤.

(٣)المسعودي : المصدر السابق ، جـ٢، ص ١٠٦. وقضاعة الشام كانت مرتبطة بالرومان، أما قضاعة العراق فكانت مستقلة عن الساسانين ولا تدين للفرس بالخضوع السياسي. فاروق عمر ومحسن حسين: المرجع السابق ، ص ٢٤.





إلى الداروم غرباً، ولهم منازل في سيناء والجفار إلى حدود مصر غرباً، وإلى تبوك جنوباً، ومن بطون قضاعة الشهيرة كذلك جهينة ونزلوا شمال حوران. (١)

أما قبيلة كلب فكانت من أوائل القبائل اليمانية التي نزحت إلى ديار الشام، واستقرت بعض بطونها عند وادي القرى وتيماء وتبوك، بين الحجاز وفلطسين، أما أشهر منازلها فكانت عند دومة الجندل(٢)، وكانت أهم قبيلة في بلاد الشام قبل الإسلام، واستمرت أهمية كلب بعد الإسلام، وأصبحت في مقدمة القبائل المؤيدة للدولة الإسلامية الجديدة.

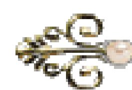
كما كانت لقبيلة كلب منازل امتدت من حمص شمالاً إلى العراق شرقاً، ولم تخالطها فيها أي قبيلة، وتأثرت كلب بحضارة الروم قبل الإسلام، واعتنقت المسيحية واستعان بهم الروم في حفظ الأمن على أطراف الدولة من البدو، ودخلوا معهم في حروب ومنازعات.(٣)

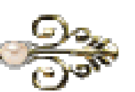
---

(١)محمود كرد علي : المرجع السابق ، جـ١، ص ٦٤ .

(٢)الطبري: تاريخ الرسل والملوك، جـ١، ص ٦٤. القلقشندي : صبح الأعشى، جـ١، ص٣١٠. العدوي: الأمويون والبيزنطيون ، ص ١٤.

(٣)محمود كرد علي: المرجع السابق ، ص ٦٤ .





ومن القبائل اليمانية التي نزحت إلى فلسطين وبلاد الشام، الغساسنة، وكانت هجرتهم في القرن الخامس الميلادي، قبل أكثر من قرن من ظهور الإسلام وانتشرت هذه القبائل، وتوغلت داخل بلاد الشام وفلسطين واستوطنوا فيها وأسسوا كيانات سياسية مرموقة، ونزلوا أولاً تخوم الشام جنوب فلسطين، ثم ساروا شمالاً واتخذوا قرية الجابية في مرتفعات الجولان مركزاً لزعامتهم(١). واعتنقوا المسيحية مثل قبائل قضاعة وكلب، وانضموا إلى الروم وأنشأوا مملكة امتدت من نواحي العقبة غرباً إلى بادية الشام شرقاً حتى غرب العراق. (٢)

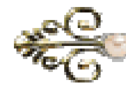
وتعاون الروم مع هذه القبائل لمصلحة واضحة، حيث أسندوا إليهم مهمة الدفاع عن حدودهم أمام هجمات الفرس، وضد البدو الموالين للفرس شرقاً، وبدو الحجاز جنوباً.

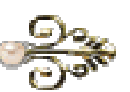
وبذلك فتحوا الباب أمام القبائل للتنقل في المنطقة، وترتب على ذلك أن زادت الهجرات على بلاد الشام. وما لبثت أن ساءت

---

(١)ثيودور فولدكة: أمراء غسان ، ص ٦٠ .

(٢)نزل بنو كلب دومة الجندل وتبوك وأطراف من الشام والواحات شرقي حوران وجنوبها وأقامت جماعات كلبية أخرى حول سليمة وتدمر، كما استقرت قبائل أخرى مثل بنو مذحج في أذرعات وأقامت بطون من لخم بين الرملة ومصر، ونزل بعضها ما بين حدين وتبوك ، ونزل فخذ آخر فيما يلي طبرية وأراضي الأردن. فاروق عمر ومحسن حسين : المرجع السابق ، ص ٢٠– ٢١.





العلاقة بين الغساسنة والروم، واضمحلت دولة الغساسنة، وذلك لما أغار الفرس على الروم في فلسطين بعد سنوات من ظهور الإسلام، ومزقوا دولة الغساسنة، وتفرقوا إلى قبائل، وكان لكل قبيلة أميرها. (١)

وكان الغساسنة في أثناء الفتوحات الإسلامية من أشهر القبائل العربية الموالية للروم في فلسطين، وفي العهد الأموي، كانوا من القبائل العربية الهامة في الإقليم. (٢)

ومن قبائل اليمن الشهيرة التي نزحت إلى بلاد الشام وفلسطين في عهد الروم قبيلة جذام، وكانت أهم منازلها في عمان ونواحيها من أرض البلقاء. (٣)

حيث استقرت قبل الإسلام على حدود سوريا وفلسطين الجنوبية وعند ظهور الإسلام كانت جذام تستوطن في حسمي،

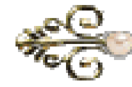
---

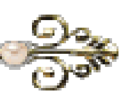
(١)ثيودور فولدكة: المرجع السابق ، ص ٦١. فاروق عمر ومحسن حسين: المرجع السابق، ص ١٧-١٨. محمد أحمد باشميل : العرب في بلاد الشام قبل الإسلام، ص ١٢.

(٢)المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٢٠٢- ٢٢٧، مروج الذهب، جـ٢، ص١٠٦. القلقشندي : المصدر السابق ، جـ١، ص ٣١٠ .

Ostrogosky: History of the Byzant state. P. 93

(٣)ابن سعد : الطبقات الكبرى ، جـ١، ص١٨. البلاذري : أنساب الأشراف ، ص ٢٤٩.





وانتشرت بطونها في وادي القرى وتبوك وأيلة وطور سيناء، وهي على طريق القوافل التجارية، ونزلت أعداد كبيرة منهم في منطقة جبال الشراة حول أذرع ومعان، وكانت معان مركزاً لزعامتهم، وأقام فيها زعيمهم مزوة بن عمرو. (١)

وكان لاتصال الجذاميين بالروم في فلسطين. أن انتشرت بينهم المسيحية ولكن بصورة بسيطة، كما استعان بهم الروم في حماية حدودهم الجنوبية، واعتمدوا على مزوة بن عمرو في معان على العرب المجاورين لهم. (٢)

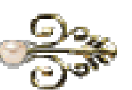
ولما كان الفتح الإسلامي ووصول المسلمين إلى فلسطين، وقف الجذاميون في بداية المعارك الحربية إلى جانب الروم، ولكن بعد أن سجل المسلمون انتصاراتهم الحاسمة منذ المعارك الأولى دخلت جذام الإسلام، وشاركت الجيش الإسلامي في تحرير سوريا من الروم، وأصبحت أهم قبائل فلسطين بعد الفتح، وحافظت على تلك المكانة طوال عهد الخلفاء الراشدين والعهد الأموي. (٣)

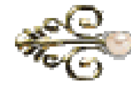
---

(١)ابن هشام : المصدر السابق ، جـ٢، ص ٥٩٢. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون ، جـ٢، ص ٥٣٥.

(٢) ذكر ياقوت الحموي : أن جذام نزلت بادية البلقاء ، أي منطقة جنوب شرق وادي الأردن و تشمل مآب القديمة، جـ٤، ص ٦٨٧ .

(٣) البلاذري: فتوح البلدان ، ص ١٦٤ . ابن الفقيه الهمذاني: مختصر كتاب البلدان ، ص ١٢٠. المسعودي : التنبيه والإشراف ، ص ٢٢٧ .





كما نزل مع الجذاميين في فلسطين والشام خليط من القبائل التي نزحت من جزيرة العرب في الجاهلية والإسلام ومن أشهرها إضافة إلى كلب والغساسنة، قبيلتي لخم وعاملة، وهما وثيقتا الصلة بقبيلة جذام من حيث النسب والهجرة من اليمن، وقد قويت هذه الصلة بعد الإسلام. واستقرت لخم في مواطن جذام نفسها في بلاد الشام وخالطت جذام وغسان في المنازل بين البحر الميت وغزة، وفي الداروم بصفة خاصة، ولها منازل بين الداروم والجفار وبين لد ونابلس كما نزلت بعضها في حوران. (١)

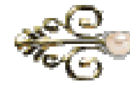
أما قبيلة عاملة وهي قبيلة قحطانية معروفة، وعاملة من قضاعة، وكانت تسكن بادية الشام شمالي غربي جزيرة العرب، وقد استقرت عند جبل الجليل بالقرب من بحيرة طبرية، وقد غلبوا على الجبل حتى سمي باسمهم وقيل له جبل عاملة، ونزلت بجوارهم بطون مثل جذام ، وكانت عاملة حليفة كلب، وبرزت مع كلب أيام الأمويين مساندين حكم بني أمية.(٢)

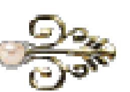
ومن القبائل الشهيرة التي نزلت فلسطين وخالطت جذام في منازلهم قبيلة كنانة، ونزلت جند فلسطين واستقروا إلى جوار

---

(١) البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٦٤. محمد كرد علي: المرجع السابق ، جـ١، ص ٦٤ .

(٢) محمد كرد علي : المرجع السابق : جـ١، ص ٦٤ .





عسقلان إلى جانب اليمانية من لخم وجذام وقبيلة يلي (نزلوا في المنطقة الممتدة من تبوك إلى البحر الميت) كما كانت لهم أيضاً منازل بين جنوب لد ونابلس ونزل معها في هذه المواضع بطون من لخم [١]، ونزلت بكر بن وائل في جنين، وأطرافها وفي الرحبة، وبنو ذبيان وهم من قيس عيلان، ونزلت بطون منها في الغور الفلسطيني، وكذلك بنو سليم الذين نزلوا فلسطين ثم رحلوا بعدها إلى مصر ثم شمالي أفريقيا.[٢]

أما قبائل بني فزارة وبني مرة فقد نزلت عند حوران ونزلت قبيلة ذبيان بين حوران وتيماء وخالطتهم قبيلة طيء في منازلهم. [٣]

وكانت بطون من تنوخ وبهراء تخالط كلب في منازلها بين دومة الجندل وتيماء، وكان معها كذلك بطون من الغساسنة والضجاعمة. [٤]

ويتضح مما سبق أنه قد هاجرت إلى فلسطين منذ الجاهلية أعداد كبيرة من القبائل العربية من جنوب الجزيرة العربية، ثم

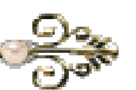
---

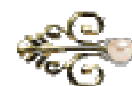
(١) المرجع نفسه ، نفس الجزء والصفحة.

(٢) فاروق عمر ومحسن حسين : المرجع السابق ، ص ٣٣.

(٣) أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٥٤.

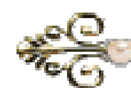
(٤) الطبري: المصدر السابق ، جـ١، ص ٢٠٧ .

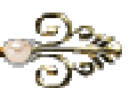




هاجرت أعداد هائلة أثناء الفتح الإسلامي من عرب الشمال والجنوب، وتكاثرت هجرات القبائل إلى فلسطين والشام.

والخلاصة أن الصلة الوثيقة والارتباط القوي بين فلسطين والعروبة لم ينقطع عبر تاريخها، واستمرت سلسلة هذه الهجرات العربية أثناء الفتوحات الإسلامية وبعدها.



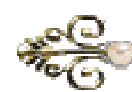


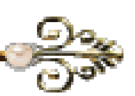
القبائل العربية في فلسطين وعلاقتها بالخلفاء في العصر الأموي :

أولاً : فلسطين في عصر بني أمية :

قام المجتمع القبلي في فلسطين في بادئ الأمر على الحياة والعيش في البادية، حيث سكنوا سهول فسلطين في العهد الأموي، والتي لم تكن تختلف الحياة فيها عما كانت عليه في جزيرة العرب في الجاهلية، ولما كانت حياتهم مرتبطة بالترحال والتنقل طلباً للماء والعشب، فقد وجدت هذه القبائل في سهول جنوب فلسطين المناخ المناسب لطبيعة بلادهم، مما ساعد على الاتصال الطبيعي للبدو في تلك السهول وما جاورها من بقاع.

ومع استقرار أوضاع الدولة الإسلامية بقيام الخلافة الأموية، طرأ بعض التغيرات على هذه القبائل بسبب تأثرها بالظروف التي عاشتها في العصر الأموي؛ فانتقلت كثير من القبائل العربية إلى المدن وأقاموا فيها، وبنوا المساكن الأنيقة والقصور الفارهة والحصون المنيعة، وأصبح لهم نشاطات اجتماعية واقتصادية، وكلن لهم أدوار بارزة في الأحداث السياسية في فترة الخلافة الأموية.





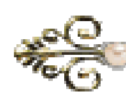
إلا أن صلتهم لم تنقطع عن البادية، وظل التواصل معها، وهذا الإحساس كان عاماً لدى العرب جميعاً بما فيهم خلفاء العهد الأموي، فلم يقتصر هذا الحنين على قبائل العرب، وإنما انتقل الأمر ليشمل خلفاء بني أمية، حيث عنوا بالبادية، واستقر بعضهم في تلك البوادي وبنوا فيها القصور لإقامتهم(١). وقد تجلى في بناء القصور الأموية في البادية ميل الأمويين وانجذابهم نحو البادية حيث التمتع بهدوء الصحراء.

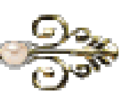
وخير ما يصور لنا حياة البدو في فلسطين وحنين العرب إليها، ميسون بنت بحدل الكلبية والتي تزوجت الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وأنجبت له ابنه يزيد، الذي تربى في فلسطين مع أمه وتأثر بها. فأجاد اللغة والأدب والصيد، وكانت قد انتقلت إلى قصر الإمارة بعد زواجها، إلا أنها لم تستطع الحياة في المدينة، فأنشدت بعض الأبيات الشعرية والتي وضحت فيها اشتياقها

---

(١) أبو الفداء : أخبار البشر ، جـ٢، ص ١٢٥. كان الخلفاء الأمويون أول الأمر يقيمون في البادية في خيامهم ثم تحولت إلى مبان مؤقتة ثم جعلت بناء مستديماً وقصوراً، حيث الخضرة ومياه الينابيع، وخاصة بعد هطول الأمطار. العدوي: المرجع السابق، ص ٢٤١.

Creswell: Early Muslem Architeure, P.265.





وحنينها للبادية، والتي فضلتها على حياة الرغد والرفاهية في المدينة.[١]

وكان معاوية بن أبي سفيان قد أولى فلسطين اهتماماً كبيراً، ووضح ذلك حينما أعلن خلافته من البيت المقدسي، واشترى بعض الأراضي في عسقلان، وغزة، واهتم بتنمية مواردها البشرية والاقتصادية. [٢]

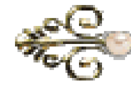
كما كان معاوية من الخلفاء الأمويين الذين مالوا إلى حياة البادية في بعض الأوقات، إما طلباً للمتعة والهدوء أو الصيد، وصاهر الكلبية وكان ثمرة هذه المصاهرة ابنه يزيد بن معاوية[٣]. كما عرف عن معاوية أنه كان يقيم في أغلب الأحيان في الصنبرة بالقرب من طبرية، أما مروان بن الحكم فقد نشأ بين البدو من قبائل كلب، وفي عهده أخذ البيعة بالخلافة لابنيه قرب طبرية،

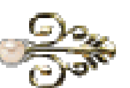
---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ٣، ص ٢٠٣ .

(٢)لي سترانج : فلسطين في العهد الإسلامي ، ص ٥٤- ٥٦. نبيه عامل : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ .

(٣)أبو الفداء: المصدر السابق، جـ٢، ص ١٠٨. فاروق عمر فوزي ، ومحسن حسين : المرجع السابق ، ص ٥٣- ٥٤.





فلما آلت الخلافة لابنه عبد الملك كان يتنقل بين الجابية وبعلبك جنوب طبرية. (١)

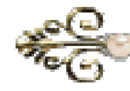
ولعل أهم حدث يخص فلسطين في عهد عبد الملك بن مروان هو بناء مسجد قبة الصخرة في القدس، وهو أول مسجد بني في عهد بني أمية، كما أعاد بناء المسجد الأقصى(٢)، وهما من أعظم آثار الأمويين في فلسطين.

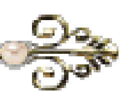
أما الوليد بن عبد الملك فقد بُويع في مسجد قبة الصخرة، وبنى قصر المشتى قرب البحر الميت، وأتم عمران المسجد الأقصى، واهتم بفقراء بيت المقدس، وبنى المستشفيات ودور الضيافة، والكتاتيب وحفر الآباء وأصلح الطرق وأنشأ المراكز الاجتماعية للمقعدين والمجذومين، وحدد عطاءً ثابتاً للعجزة والفقراء، وقضى على فتنة الجراجمة في لبنان وأجزاء فلسطين

---

(١)ابن حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٤. فيليب حتى : المرجع السابق ، جـ١، ص ٢٨٦.

(٢)سعيد بن بطريق: التاريخ المجموع ، جـ٢، ص ١٧- ١٩. ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٨٢. القلقشندي : المصدر السابق ، ج٣، ص ٢٥٧. محمود العابدي : قدسنا ، ص ٦٥. يوسف غوانمة : صفحات من تاريخ القدس وفلسطين والأردن في العصر الإسلامي، ص ١٣.





الشمالية، وشغل القبائل العربية بالفتوحات، فكان عهده عهد أمن واستقرار. [١]

وحين ولى سليمان الخلافة سنة ٩٦هـ- ٧١٤م كان في بئر السبع ثم القدس، وأتته الوفود وهو يجلس في قبة في صحن مسجد بيت المقدس، وقد اهتم بالإقامة في بيت المقدس، وأحب سليمان بن عبد الملك فلسطين وبنى مدينة الرملة ومصرها، وذلك حين كان والياً على جند فلسطين من قبل الوليد، وغدت الرملة عاصمة فلسطين ومقر الخليفة سليمان لفترة. واهتم بإعمار فلسطين. [٢]

أما هشام بن عبد الملك فقد قضى حياته في الرصافة، وأحب إنشاء القصور في البادية، فبنى قصر الغور، وبنى في طبرية قصر منية الشام[٣]. وكانت معظم حياة الخلفاء في فلسطين

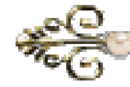
---

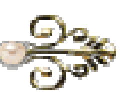
(١) مجهول : العيون والحدائق، ص ٤- ١٢. سعيد بن بطريق : المصدر السابق ، جـ٢، ص ٤٠ .

(٢) فاروق فوزي، ومحسن حسين : المرجع السابق ، ص ٥٧. فيليب ، حتى : المرجع السابق ، جـ١، ص ٢٨٦.

Creswell: Early Muslem Architeure, P.268

(٣) مجهول : المصدر السابق ، ص ٣٤. ياقوت الحموي: المصدر السابق، جـ٤، ص ٢٥٥ وما بعدها. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي للدولة العربية ، جـ٢، ص ٢٤٢. فيليب حتى : المرجع السابق ، جـ٦، ص ٢٨٦ .





بعيداً عن دمشق، ويدل ذلك على الحنين الذي في أنفسهم إلى حياة البادية. وظلت فلسطين تحت دائرة الضوء في العصر الأموي، واعتبروها ركناً متيناً من أركان الدولة وعصبتها، إلى أن اشتعلت العصبية والنزاعات بين القبائل، وساعد في بعض الأحيان على تأجيجها بعض خلفاء بني أمية، وذلك بالتحيز لطائفة دون الأخرى، فاضطربت أمورهم، وثارت فلسطين، وانتشرت الثورات في مدنها المختلفة، وفقدت الخلافة من كان حولها ويزود عنها الأخطار، وانقصمت العروة الوثقى التي كانت تربطهم بالخلافة الأموية. (١)

ثانياً : انقسام القبائل العربية في فلسطين حول الخلافة :

كان العرب المسلمون من مهاجرة ومقيمين من قبل، هم الطبقة الأولى من الناحية العددية في طبقات المجتمع في العصر الأموي، كما كانوا الطبقة الأولى من الناحية الأدبية حسب الوضع الاجتماعي.

---

(١) الطبري : المصدر السابق ، جـ٧ ، ص ٢٦٦– ٢٧٦ .

وطبقة العرب المسلمين هي التي كانت تعمل بالسياسة وتقف إلى جانب الخليفة وتسانده، كما فعلت بعض القبائل مثل قبيلة بني كلب ، حيث اعتمد عليهم بعض الخلفاء في بث نفوذهم وسياستهم ومد سلطانهم، كما تميزوا بالقيادة الحربية والسياسة في الدولة.

بنو كلب :

كان لإقامة بنى كلب الطويلة في بلاد الشام، ومخالطتهم للروم، أن امتلكوا الأراضي والضياع والمتاجر، كما كان لاحتكاكهم بالروم في المعارك ومساندتهم لهم في الحروب، أن تدربوا على الأنظمة الحربية وفنون القتال، وتفوقوا بذلك على القبائل العربية الأخرى في كثير من المجالات. ولذلك فقد اهتم بهم معاوية بن أبي سفيان، وكان لهم أثر عظيم في توطيد أركان دولته، وتوج ذلك ورفع من مكانتهم حين تزوج من امراة من أشرافهم وهي ميسون بنت بحدل، والتي انجبت له ولي عهده يزيد(١). كما سبق القول، وكان بنو كلب يفخرون بأنهم أصهار

---

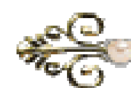
(١)أبو الفداء : المصدر السابق ، جـ٢، ص ١٠٨ . أحمد شلبي :" الدولة الأموية (نشأتها) ص ٣٩ – ٥٠. فيليب حتى: المرجع السابق ، جـ٢، ص ٣٠٢ .

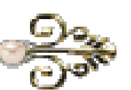
الخليفة وأخوال ولي العهد، وقد قربهم معاوية إليه، رغم أنه كان أقرب إلى قيس من حيث النسب، وعلت مكانتهم شيئاً فشيئاً، حتى أصبح عرب الجنوب من بني كلب يشكلون غالبية الجيش الأموي. مما جعل قيس تضمر الحقد إزاء هذا التفوق لليمانية، إلا أن معاوية بن أبي سفيان كانت سياسته تقوم على إلغاء التمايز بين القيسية واليمانية، وإيجاد التوازن الدائم بين الفئتين، ولذلك لم يهمل قيس، وإنما حظيت في عهده بالكثير من الامتيازات، واهتم بزعيمها الضحاك بن قيس، فجعله على شرطته، وكان من المقربين إليه. فكان له سلطات واسعة، كما جعله معاوية نائباً لدمشق، فكان يقيم الحدود ويسد الأمور.(١) كما أن الضحاك بن قيس أخذ البيعة ليزيد بن معاوية من سائر الولايات بعد وفاة والده، وذلك لأن يزيد لم يكن حاضراً عندما توفي والده. (٢)

---

(١)اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ، جـ٢، ص ٢٣٨. ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ٨، ص ٢٤١. فتحي عثمان : المرجع السابق ، جـ١، ٣٦٤ .

(٢)اليعقوبي : المصدر السابق ، جـ٢، ٢٧١ . ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٤، ص ٦ .





ولما ولى يزيد بن معاوية الخلافة، سار على نهج أبيه من حيث اعتماده على كلب واليمانية في حماية الدولة، فتزوج من ابنة حريث بن عبد الملك من قبيلة كلب عند دومة الجندل(١). وواجه يزيد بن معاوية في خلافته ثورة الحجاز بقيادة عبد الله بن الزبير، تلك الثورة التي كانت قدرات معاوية بن أبي سفيان قد كبحتها، ولكن بعد موته رفض ابن الزبير الاعتراف بخلافة يزيد، وأعلن استقلاله عن الحكم الأموي في الشام، وجعل مقر حكومته المسجد الحرام(٢). فبعث إليه يزيد بن معاوية جيشاً يحاربه بقيادة مسلم بن عقبة المري من فلسطين، وتكون الجيش من أنحاء الشام، وكان فيه من فلسطين ألف رجل، عليهم روح بن زنباع الجذامي، ومن الأردن ألف رجل عليهم جيش بن دجلة القيني، ومن دمشق ألف رجل عليهم عبد الله بن مسعدة الفزاري، بالإضافة إلى ألف من حمص وألف من قنسرين(٣). وانتصر جييش يزيد

---

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جـ٥، ص٤٤٨.

(٢)الدينوري : الأخبار الطوال ، ص ٢٢٩. الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٣٣٩.

(٣)اليعقوبي: المصدر السابق ، جـ٢، ص ٢٥٠. ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٤، ص ١١٣. ابن كثير: المصدر السابق ، ص جـ٨، ص ٢١٨.

على أهل المدينة، واتخذ طريقه إلى مكة حيث مضى للقضاء على ابن الزبير، فحاصروا الكعبة، وفي أثناء الحصار توفي يزيد، فتراجع جيشه إلى الشام.(١)

والملاحظ أن جيش يزيد الذي كُلف للقضاء على ثورة ابن الزبير بالحجاز، كان قد تم اختياره من سكان فلسطين، حيث ضم جند من أكبر قبائل فلسطين حينذاك، وربما ذلك يوضح تلك المكانة الكبيرة لفلسطين عند الخلافة.

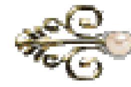
وبعد موت يزيد بن معاوية بويع بالخلافة ابنه معاوية، والذي أعلن للناس أنه غير راغب في تحمل أعباء الخلافة، فخلف بذلك أزمة في الحكم. وكان الضحاك بن قيس يصلي بالناس بدلاً عن الخليفة ويتولى أمرهم، وذكر أبو الفداء أن معاوية بن يزيد هو الذي أوصاه بذلك حتى يختار الناس خليفة(٢)

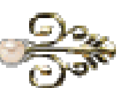
والحقيقة أنه بوفاة يزيد بن معاوية، ومبايعة ابنه معاوية الثاني بالخلافة، وكان في زمانه بيعتان، إحداهما لمعاوية في

---

(١)الدينوري : المصدر السابق ، ص ٢٢٩. الاصفهاني : مقاتل الطالبين، ص ٩٥ – ٩٧. عمر الصالح البرغوثي: تاريخ فلسطين، ص ١٢٢– ١٢٣ .

(٢) أبو الفداء : المصدر السابق ، جـ٢، ص١١٩. ابن كثير: المصدر السابق ، جـ٨، ص ٢٣٧.





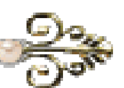
الشام، والأخرى في الحجاز لعبد الله بن الزبير، وبذلك كان عهد معاوية بن يزيد انتقالياً، ولم تستقر فيه الخلافة.

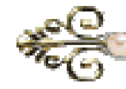
أما القيسية والتي فقدت الكثير من امتيازاتها في عهد الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، فقد رفضوا الاعتراف بخلافة معاوية بن يزيد، وكان ذلك نتيجة لحقدهم على بني أمية، والذي بدأ منذ أن صاهر معاوية بن أبي سفيان اليمانية وأصبحوا أخوالاً لولي عهده يزيد، حيث بدأ ولاء القيسية لبني أمية يتلاشى[١]، وبدأ تكوين حزبهم السياسي المنافس لليمانية الذين كانوا بمثابة الحزب الموالي للأمويين، وزاد ذلك الشعور بالعداء في عهد يزيد بن معاوية. وبعد وفاته بدأ دخول الجانبين في الصراع السياسي الذي نشب بين الأمويين في الشام من جانب، وعبد الله بن الزبير في الحجاز من جانب آخر، وانقسم العرب في الشام إلى قسمين، اليمانية مع الأمويين والقيسية مع عبد الله بن الزبير، والذي أقام في الحجاز. [٢]

---

(١) البرغوثي : المرجع السابق ، ص ١٢٢– ١٢٥. لي سترانج : المرجع السابق ، ص ١٢٢– ١٢٣ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٢٩. فلهاوزن : تاريخ الدولة العربية، ص ١٦٦.





وبعد موت الخليفة معاوية بن يزيد، أصبح عبد الله بن الزبير على يقين أنه لم يبق أحد ينافسه على الخلافة، فلقب نفسه أمير المؤمنين، ووجد تأييداً في أكثر البلاد[١]، وكان معه في الحجاز ناتل بن قيس الجذامي، فولاه فلسطين وطلب منه أن يسير إليها. [٢]

واضطربت الأفكار في سورية وفلسطين، واتجهت الأنظار نحو الحجاز، وأجمع أمراء بلاد الشم على مبايعة عبد الله بن الزبير ما عدا أمير فلسطين حسان بن مالك بن بحدل[٣]، حيث كان موقف الكلبيين أخوال يزيد مؤيداً لفكرة إبقاء الخلافة في نسل يزيد، وهكذا فقد ظلت كلب على ولائها لبني أمية، ذلك الولاء الذي زاد معها منذ أن قربها معاوية بن أبي سفيان، وسار على سياسته ابنه يزيد، وكلاهما جعل حسان بن مالك بن بحدل الكلبي والياً على فلسطين. فكانت له السيادة على أهل فلسطين، بالرغم من أن بني كلب لم يكونوا أكثرية في فلسطين وكانت الغلبة فيها لجذام [٤]

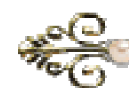
---

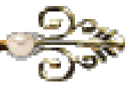
(١) اليعقوبي : المصدر السابق ، جـ٢، ص ٢٥٠.

(٢) البلاذري : أنساب الأشراف، جـ٥، ص ١٧٥.

(٣)الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٢٩.

(٤) المصدر نفسه ، جـ٥، ص ٥٣١.





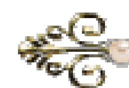
وخرج ناتل بن قيس الجذامي من الحجاز إلى فلسطين، وأرسل إلى حسان بن مالك بن بحدل الكلبي، وقال له: إما أن تخرج من بلاد قومي، وإما أن أدخل عليك فأقاتلك". وعندما أدرك حسان بن مالك أنه لا طاقة له بناتل وقومة من جذام، استخلف رجلاً من جذام وهو روح بن زنباع الجذامي، وخرج إلى جند الأردن، ونزل طبرية وأخذ يدعو الناس لبني أمية، واستمال الناس فبايعوه على طاعة بني أمية وقتال ابن الزبير(١)

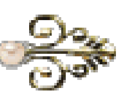
وأصبح الناس في إقليم فلسطين فريقان: فريق من كلب اليمانية بزعامة حسان بن مالك الكلبي في جند الأردن يدعو إلى بني أمية، وفريق من قيس عرب الشمال زعيمه الضحاك بن قيس في جند دمشق يميل لابن الزبير في الحجاز، إلا أن الضحاك لم يظهر دعوته لابن الزبير وكان يعمل سراً في دمشق، لأنه كان مع مروان بن الحكم، أما جند فلسطين الذي خرج منه حسان بن مالك الكلبي، فقد دخله ناتل بن قيس الجذامي، وتغلب على روح بن زنباع، وأخرجه واستولى عليه وبايع لابن الزبير. (٢)

---

(١) البلاذري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ١٢٨. الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٣١- ٥٣٢. ابن عبد ربه: العقد الفريد ، جـ٢، ص ٣١٤.

(٢)البلاذري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ١٣٢. ابن عبد ربه : المصدر السابق ، جـ٢، ص ٣١٤. أحمد شلبي: المرجع السابق ، ص ٣٩- ٥٠ . البرغوثي: المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

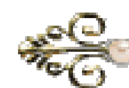


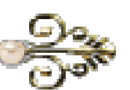


وبذلك تحولت جذام جند فلسطين عن مجموعة القبائل اليمانية الموالية لبني أمية. واستوثق الأمر لابن الزبير وأخذت له البيعة بالشام، وخطب باسمه على سائر منابر البلاد إلا منبر طبرية في جند الأردن حيث رفض حسان بن مالك الكلبي أن يبايع له وأراد الخلافة لبني أمية. (١)

وبعد أن سيطر ابن الزبير على معظم الشام وسائر أنحاء بلاد الإسلام، قرر الضحاك بن قيس زعيم القيسية في دمشق أن يظهر دعوته لابن الزبير بعد كتمانها، فجلس في مسجد دمشق وأخذ يذكر الأمويين بسوء، وركز على شخص يزيد بن معاوية، مما أثار شاباً من بني كلب موالياً لبني أمية، فقام إلى الضحاك بن قيس بعصا كانت في يده وضربه، وكان الناس جلوساً في حلقات في المسجد، فانقسموا إلى فريقين واقتتلوا: فريق من كلب يدعو إلى بني أمية، وفريق من قيس يدعو إلى ابن الزبير، فلما كان اليوم التالي، شعر الضحاك بالحرج من موقفه وبعث إلى بني

(١) المسعودي : مروج الذهب ، جـ٥، ص ١٩٤ .





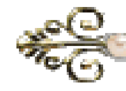
أمية واعتذر إليهم، وقال أنه لا يريد شيئاً يكرهونه[١]. وبذلك حاول تهدئة الناس في دمشق.

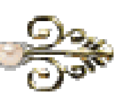
كان حسان بن مالك في الأردن يواصل دعوته لبني أمية، فلما بلغه ما حدث في دمشق من الضحاك لم يرض عنه، وقرر أن يفضح الضحاك، فكتب إليه كتاباً يذكره بحسن بلاء بني أمية ويدعوه لطاعتهم، وحقر فيه ابن الزبير ووصفه بالنفاق، وطلب من الضحاك أن يقرأ هذا الخطاب على الناس، وأرسل الخطاب مع رجل من بني كلب، وأعطى له نسخة أخرى من الخطاب وقال له : إذا لم يقرأ الضحاك خطابي على الناس فقم وأقرأ النسخة التي معك عليهم، كما كتب لبني أمية وطلب منهم أن يحضروا قراءة الخطاب في المسجد[٢]. فلما كان يوم الجمعة صعد الضحاك بن قيس المنبر في مسجد دمشق ولم يقرأ الخطاب الذي أرسله حسان، فكرر عليه رسول حسان ثلاث مرات الطلب لقراءة الخطاب فلم يجبه الضحاك، فأخرج رسول حسان بن مالك النسخة التي كانت

---

(١) الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٣٣ . ابن عبد ربه : المصدر السابق ، جـ٢، ص ٣١٥. ابن الأثير: المصدر السابق ، جـ٣، ص ٣٢٨ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٣٣ .

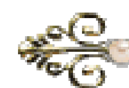




معه وقرأها على الناس، فقام الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان من بني أمية ووافق ما جاء في الكتاب وشتم ابن الزبير، كما قام يزيد بن أبي النمس من بني غسان وهو من اليمانية الموالية لبني أمية وصدق ما في الكتاب وشتم ابن الزبير، ثم قام سفيان بن الأبرد من كلب وصدق قول حسان وشتم ابن الزبير، مما أثار أحد أتباع الضحاك بن قيس وهو من الموالين لابن الزبير، فأثنى على ابن الزبير وشتم حسان بن مالك الكلبي، واضطرب الناس، ولما كان أمر دمشق بيد الضحاك بن قيس منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، فقد أمر بسجن الثلاثة الذين وافقوا حسان بن مالك على رأيه وشتموا ابن الزبير، فحبسوا. (١)

وأقبلت كلب وأخرجت صاحبها سفيان بن الأبرد من السجن، كما أخرجت غسان يزيد بن أبي النمس، أما الوليد بن عتبة بن أبي سفيان فظل في السجن، وقال : لو كنت من كلب أو من غسان لخرجت. وكان ما قاله الوليد بن عتبة يدل على ارتفاع مكانة كلب وغسان وضعف سلطة بني أمية، وأخرجه بعد ذلك ابنا

(١) المصدر نفسه : جـ٥، ص ٥٣٢.





يزيد بن معاوية وهما خالد وعبد الله ومعهما أخوالهما من بني كلب من السجن.[١]

ويتضح من ذلك أن القيسية بزعامة الضحاك، كان الأمر بيدها في عاصمة الخلافة أكثر من بني أمية، بحيث يسجن الضحاك رجلاً من بني أمية يدافع عن البيت الأموي، ولم تخرجه إلا اليمانية وذلك لأنه لم يجد له نصيراً. وبذلك أظهرت القيسية في دمشق دعوتها ومناصرتها لابن الزبير، وظلت اليمانية على ولائهم لبني أمية، أما بنوا أمية فقد التفوا حول مروان بن الحكم، وكان شيخاً كبيراً، ومع ذلك كان أفضل منافس لابن الزبير. [٢]

كان يساند مروان بن الحكم اليمانية في دمشق، وجند الأردن وان كان ولائهم لخالد بن يزيد بن معاوية في بادئ الأمر، وكان على رأس أهل الأردن حسان بن مالك الكلبي، الذي كتب من الأردن للضحاك بن قيس زعيم القيسية في دمشق ليدعوه لمبايعة مروان بن الحكم ليبقى الأمر عند بني أمية بدلاً من ابن الزبير، واضطرب القيسية في دمشق بين ابن الزبير وبين بني

---

(١) المصدر نفسه : جـ٥، ص ٥٣٣.

(٢)المسعودي: المصدر السابق ، جـ٥، ص ١٩٤ . ابن كثير: المصدر السابق، جـ٨، ص ٢٣٩ .

أمية، مما جعل الضحاك بن قيس يجتمع ببني أمية في داره ويطلب منهم أن يكتبوا لحسان بن مالك في الأردن ليسير إلى الجابية ليجمع الكلمة لبني أمية، ورضى بنو أمية بذلك وكتبوا إلى حسان، كما كتب له الضحاك وخرج الناس من دمشق قاصدين الجابية. (١)

وبينما الناس سائرون إلى الجابية، جاء جماعة من القيسية بزعامة معن بن ثور الأخنس إلى الضحاك بن قيس، وقال له: " إنك دعوتنا إلى مبايعة ابن الزبر فأجبناك، وأنت الآن ذاهب إلى هذا الأعرابي من كلب لتبايع واحد من بني أمية". ثم نصحه بأن يظهروا الدعوة لابن الزبير ويقاتلوا على طاعته، فرضي الضحاك بن قيس بذلك، ومال بجموع القيسية عن طريق الجابية ومضى بهم إلى حوران، وأعلن بيعته لابن الزبير وبايعه على ذلك معظم أهل دمشق بما فيهم اليمانية من قضاعة، وكتبوا بذلك لابن الزبير، كما كتب إلى ناتل بين قيس الجذامي وهو على فلسطين

---

(١)الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٣٣ . ابن كثير: المصدر السابق ، جـ٨، ص ٣٤١ .

من قبل ابن الزبير، واستنجد به فأمده بأهل فلسطين وصار إليه خلق كثير. [١]

وعندما اتجه الضحاك بن قيس الفهري إلى حوران داعياً لابن الزبير، كان مروان بن الحكم في طريقه إلى الجابية مع أنصاره على حسب اتفاق أهل دمشق مع حسان بن مالك، للاجتماع والاتفاق على رجل من بني أمية ليتولى أمر الخلافة.

وهكذا انقسمت القبائل في فلسطين حول الخلافة على قسمين : الأول القيسية بزعامة الضحاك بن قيس الفهري، يدعو لابن الزبير، وقصد حوران[٢]. والثاني اليمانية والتي كانت تدعو لبني أمية وقصدت الجابية للتفاوض في أمر الخلافة والاتفاق على الشخص المناسب لها.

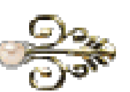
<u>الصراع القبلي ونتائجه :</u>

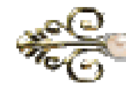
وصل حسان بن مالك إلى الجابية قبل مروان ومعه بنو كلب، وحضر معه أبناء يزيد بن معاوية وكانا صغيرين، وكان

---

(١) الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٣٣ . ابن كثير: المصدر السابق ، جـ٨، ص ٣٤١ .

(٢) أبو الفداء : المصدر السابق ، جـ٥، ص ١١٠ .





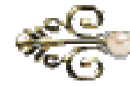
حسان يريد أن يبايع لابن أخته ميسون خالد بن يزيد، حيث كان يريد الخلافة لبني أمية ولكن أرادها في البيت السفياني.

وصلى بالناس أربعين ليلة، وتشاور مع الناس، حيث كانت لهم أهواء مختلفة حول بني أمية، فمنهم من وافق حسان وأراد الخلافة في بيت أبي سفيان لخالد بن يزيد رغم صغر سنه ثم لعمرو بن سعيد بن العاص من بعده. ومنهم من أراد الخلافة لمروان بن الحكم.(١)

وقد مال الأغلبية إلى مروان بن الحكم لكبر سنه بالنسبة لخالد بن يزيد، وكان الحصين بن نمير السكوني، ممن كان يريد الخلافة لمروان بن الحكم، فعارضه مالك بن هبيرة الذي أرادها لخالد بن يزيد فقال للحصين: "ويحك يا حصين اتبايع لمروان وآل مروان، وأنت تعلم أنهم أهل بيت من قيس؟ والله لئن استخلفت مروان وآل مروان ليحسدنك على سوطك وشراك نعلك وظل شجرة تستظل بها. وأن مروان أبو عشيرة وأخو عشيرة وعم عشيرة، فإن

---

(١)البلاذري: المصدر السابق ، جـ٥، ص ١٣٤ . الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٣٣ .





بايعتموهم كنتم عبيداً لهم"[١]. إلا أن روح بن زنباع الجذامي لم يرض عن رأي مالك بن هبيرة في مروان وآل مروان، فقام وحمد الله وأثنى عليه وخطب داعياً لمروان وقال: " أيها الناس إنكم تذكرون عبد الله بن عمر وصحبته وقدمه في الإسلام، وهو كما تذكرون، ولكنه ضعيف، وليس بصاحب أمة.. وتذكرون ابن الزبير، وهو كما تذكرون أنه ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه ابن ذات النطاقين...، وقد خلع خليفتين هما يزيد وابنه معاوية وسفك الدماء، أما مروان بن الحكم فوالله ما كان في الإسلام صدع إلا كان ممن يشعبه، ... وإنا نرى أن يبايع الناس الكبير ويستنيبوا الصغير ".[٢] وكان يقصد بالكبير مروان وبالصغير خالد بن يزيد نائباً له.

فوافق الناس وأهل الأردن على ما قاله روح بن زنباع، وخاصة أنهم رأوا أنه لم يبق في البيت السفياني رجل ينافس مروان على الخلافة غير غلام صغير وهو خالد بن يزيد فبايعوا مروان

---

(١) الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٣٣ – ٥٣٦.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٤، ص ١٤٨ .

بن الحكم على الخلافة سنة ٦٤هـ/ ٦٨٣م. على أن يكون ولي عهده خالد بن يزيد ثم عمرو بن سعيد بن العاص[١]

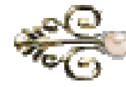
ثم أخذ أهل الأردن يحرضون مروان على قتال الضحاك بن قيس الذي انضم مع القيسية إلى جانب ابن الزبير، ولما بلغ الضحاك في حوران أن مروان قد بويع له بالخلافة في الجابية تأهب للقائه، وسار كل منهما لقتال الآخر، وأقبل مروان ومعه اليمانية وأتباعه الذين بايعوا له بالجابية وهزموا القيسية، وأجبروهم على الانسحاب شمالاً، وقد انضم إلى جانب مروان بعد ذلك بعض من قبائل قضاعة وغيرهما من اليمن الذين وقفوا مؤقتاً مع القيسية، وزحفت القبائل الموالية لمروان إلى دمشق واستولت على بيت المال[٢]. وخاف القيسية من الحصار بين قبائل كلب التي دحرتهم في مرج الصفر وبين أنصار الأمويين الذين استولوا على العاصمة، فتراجعوا إلى مرج راهط[٣]، والتقى الفريقان هناك ودارت الحرب، وانتصر فيها مروان سنة ٦٤هـ/٦٨٣م، وقتل خلقاً كثيراً

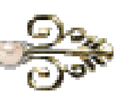
---

(١) الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٣٤ .

(٢) الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٣٤ .

(٣) مرج رهط: سهل في غوطة دمشق ناحية المشرق . أبو الفداء : تقويم البلدان، ص ٢٣.





من القيسية، كما قتل الضحاك بن قيس وفر من بقي من أصحابه[١]

وبعد هزيمة القيسية ومقتل الضحاك، هرب ناتل بن قيس الجذامي من فلسطين ولحق بابن الزبير في الحجاز.[٢]

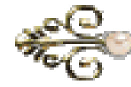
أما مروان بن الحكم فقد سار إلى دمشق ونزل دار معاوية بن أبي سفيان والتف حوله أهل الشام، وأعطوه المواثيق واستعمل عليهم عماله، فاستعمل على فلسطين روح بن زنباع الجذامي[٣]، والذي كان له دور بارز في اجتماع الجابية حيث استطاع بمهارته وخطبته البليغة أن يجعل مروان بن الحكم ينفرد بمنصب الخلافة، وبذلك ضمن روح بن زنباع رضا المروانيين عنه واسترد مكانة الجذاميين في فلسطين لدى الأمويين، فظل الجذاميون أهم قبائل فلسطين طوال العصر الأموي.

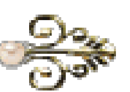
---

(١) اليعقوبي : المصدر السابق : جـ٢ ، ص ٢٥٦ . ابن عبد ربه: المصدر السابق ، جـ٢، ص ٣١٥ .

(٢) البلاذري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ١٤٠.

(٣) البلاذري: المصدر السابق ، جـ٥، ص ٢٠٤ . أبو الفداء : المصدر السابق ، جـ٢، ص ١١٠ .





نتائج المنافسة والصراع القبلي حول الخلافة :

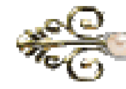
كان من نتائج المنافسة والصراع القبلي حول الخلافة، احتفاظ اليمانية بمكانتهم وأهميتهم السابقة بين قبائل فلسطين والشام، كما كان في عهد معاوية بن أبي سفيان في أول عهده، ولذلك فإنهم بعد انتصارهم في مرج رهط أعلنوا الشروط على الفرع المرواني، فقد اشترط حسان بن مالك وكان زعيم اليمانية بالشام على مروان أن يفرض لهم ألفين ألفين في العطاء، وأنه إن مات هو قام ابنه أو ابن عمه مكانه، وأن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس، وكل ما كان من حل وعقد فعن رأي فيهم ومشورة، ورضي مروان بذلك. (١)

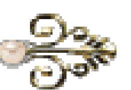
أما الحصين بن نمير السكوني الذي كان من أوائل من نادوا بالخلافة لمروان في اجتماع الجابية، فقد اشترط على مروان أن يقبل نزول من كان بالشام من قبيلة كندة في أرض البلقاء من فلسطين وأن يجعلها لهم فأعطاه ذلك. (٢)

---

(١) العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١١. محمد كرد علي: المرجع السابق ، جـ١، ص ١٤٧- ١٤٨ .

(٢) ابن سعد: المصدر السابق ، ج٥، ص ٥٢ . العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ١١ .



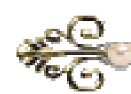


ولذلك كان من نتائج هذه المنافسة والصراع القبلي حول الخلافة، ليس احتفاظ اليمانيين بمكانتهم السابقة فحسب، وإنما ارتفاع مكانتهم إلى أفضل مما كانت عليه من قبل، فهم الآن قد أملوا الشروط على الخلافة، في حين أن ذلك لم يحدث في عهد معاوية بن أبي سفيان والذي كان قد جمع اليمانية والقيسية لخدمة الخلافة، مما خلق شيئاً من التنافس بينهما، أما في عهد مروان فكانت مساندة اليمانية للخلافة على أساس هزيمة القيسية وإبعادهم عن أي منافسة. ومن جانب آخر كانت مساندة اليمانية لمروان بن الحكم على حساب البيت السفياني، حيث أبعدوا خالد بن يزيد عن الخلافة وجعلوه ولياً للعهد، ومن ثم انتقلت الخلافة الأموية للفرع المرواني، وكان لمناصرة اليمانية لمروان أن مد من عمر الخلافة الأموية، وهدم خلافة ابن الزبير التي أعلنها في الحجاز وبعض أقاليم الدولة الإسلامية، ما عدا طبرية عاصمة جند الأردن والتي منها انطلقت المقاومة اليمانية إلى جانب بني أمية وانتهاء الأمر في يدهم بعد انتصارهم.

قبيلة جذام :

انتشرت قبيلة جذام في شتى أرجاء فلسطين، وكان لها دوراً أساسياً منذ الفتح الإسلامي وفي العصر الأموي، ذلك أن الجذاميين كانوا الموالين لبني أمية، وكانوا من أبرز القبائل





اليمانية التي استمالها خلفاء بني أمية للدفاع عن دولتهم، ووقفوا معهم في كل المعارك التي خاضوها، في موقعة الحرة، وحصار مكة، ومرج راهط. وكان سيدهم في أوائل عصر الأمويين روح بن زباع، والذي كان من المقربين ليزيد بن معاوية، وكان روح على رأس كتيبة فلسطين التي كانت تتألف من ألف مقاتل في موقعة الحرة، وحين توجه مسلم بن عقبة لحصار مكة استخلف روح بن زنباع على المدينة.

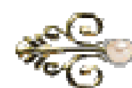
وعلى الرغم من ولاء جذام لبني أمية، إلا أنه كان أقل من ولاء قبيلة بني كلب، وربما كان ذلك لأن جذام لم تكن عريقة في الشام مثل قبائل كلب التي نزحت إلى الشام قبل قرون من ظهور الإسلام. (١)

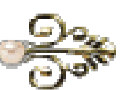
وكانت جذام مقارنة بقبيلة كلب، أكثر بداوة وأقل عراقة في الشام، إلا أنها ارتفعت إلى منصب الزعامة في فلسطين، وذلك بعد زوال دولة الغساسنة وبعد الفتح الإسلامي، كما أنها لم تستقم كل الاستقامة لبني أمية منذ بداية العهد الأموي إلى نهايته. (٢)

---

(١)العدوي : المرجع السابق ، ص ١٤. فلهاوزن : المرجع السابق ، ص ١٢٦- ١٢٧ .

(٢) القلقشندي : المصدر السابق ، جـ١، ص ٣١٦ .





وكان موقفها من الخلاقة الأموية في جملته محاولات للاستجابة لرغبة خلفاء بني أمية لاستمالتهم والسيطرة عليهم، في حين أنهم بطبعهم البدوي، كانوا ينزعون إلى الحرية، ويكرهون التسلط، وكان يمثل أنفتهم عن تسلط الأمويين زعيمهم ناتل بن قيس الجذامي وثوراته المتوالية ومن ثار بعده من رجاله.

وكانت أول ثورات ناتل بن قيس على الخلافة الأموية في عهد معاوية بن أبي سفيان في أول خلافته، وذلك عندما شعر ناتل بضعف موقف معاوية لانشغاله مع الروم الذين أغاروا على الشام، فثار في فلسطين واستولى على بيت مالها، ولكن معاوية رأى أنه من الحكمة ألا ينشغل بثورة ناتل وأغفلها حينها، مما اكسب ناتل ثقة في نفسه، وكان معاوية بن أبي سفيان قد استمال روح بن زنباع الجذامي الزعيم الآخر لجذام، لتخلص به من ناتل بن قيس في فلسطين، واستطاع ابن زنباع أن يقهر ناتل بن قيس، وينفرد بزعامة الجذاميين في فلسطين(١)

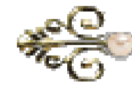
---

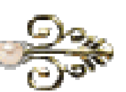
(١) الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٣٥ . وكان معاوية قد هم بروح بن زنباع يوماً، فاستعطفه روح وقال: أن العدو الذي قهرته سيشمت، فأرجو أن يطغى حلمك وإحسانك على جهلي، فأمسك معاوية عنه. ولعل تراجع معاوية كان بسبب حكمته في أن لا يثير القبائل العربية والتي كان يعتمد عليها في مساندة الخلافة.

وعندما اضطربت أوضاع الخلافة، بعد موت معاوية الثاني، وكانت الأزمة التي هددت كيان الدولة الأموية، وذلك عندما أعلن عبد الله بن الزبير خلافته في الحجاز، انشق الجذاميون من أهل فلسطين إلى قسمين ، فكان روح بن زنباع يميل إلى الأمويين، أما ناتل بن قيس فكان هواه مع عبد الله بن الزبير، ووقف معه وزحف من الحجاز في جيش ابن الزبير واستطاع طرد روح من فلسطين، واستولى عليها باسم عبد الله بن الزبير، ثم أرسل جنداً من فلسطين للضحاك بن قيس ليسانده في القضاء على خلافة بني أمية، والدعوة لابن الزبير بدلاً عنه. (١)

وهكذا انقسم أهل فلسطين من جذام إلى قسمين، أحدهما حارب مع مروان بقيادة روح بن زنباع والثاني حارب ضده بقيادة ناتل، وعندما لم يتحقق للجذاميين الموالين لابن الزبير أملهم في زوال دولة بني أمية بعد موقعة مرج راهط، وانتصار مروان بن الحكم بمساعدة بني كلب، هرب ناتل وأنصاره إلى ابن الزبير في

(١)البلاذري: المصدر السابق ، جـ٥، ص ١٣٤. الطبري : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٥٣٣ . ابن كثير : المصدر السابق ، جـ٨، ص ٣٤١.





الحجاز، أما الجذاميون بزعامة روح بن زنباع فقد ظلوا على ولائهم لمروان بن الحكم وبايعوا لمروان بن الحكم، وقد حفظ الأمويون لروح هذا الإخلاص والولاء، فبلغ الجذاميون ذورة النفوذ في عهد عبدالملك، الذي اتخذه مستشاراً يعتمد عليه ومعظماً لا يكاد أن يفارقه وصار عنده بمنزلة وزير. (١)

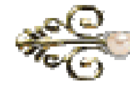
إلا أن فلسطين لم تستقم للخليفة عبد الملك بن مروان، وذلك لأن عبد الله بن الزبير وجه ناتل بن قيس إلى فلسطين مرة أخرى، فسار إليها واستولى عليها. (٢) وبعد أن استقامت الأمور لعبد الملك بن مروان في بلاد الشام، واستقرت أوضاعها، وجه روح بن زنباع إلى فلسطين لقتال ناتل بن قيس، والتقى الجيشان، وانهزم ناتل وقتل، وبذلك أصبح روح بن زنباع زعيم الجذاميين بلا منازع وأمير فلسطين، وخضعت جذام لعبد الملك بزعامة روح، كما أطاعت معاوية بن أبي سفيان من قبل بجهود روح بن زنباع. (٣)

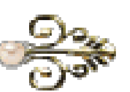
---

(١) الجهشياري : المصدر السابق ، ص ٣٥.

(٢)البلاذري: المصدر السابق ، جـ٥، ص ١٣٤ .

(٣) اليعقوبي : المصدر السابق ، جـ٢، ص ٢٦٩ . الذهبي: العبر في خبر من غبر، جـ١، ص ٩٨ .





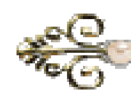
وكان عبد الملك يوصي أبناؤه بروح، وأن يعرفوا حقه وحرمته، واستمرت جذام على طاعتها لخلفاء بني أمية الأقوياء حتى عهد هشام بن عبد الملك آخر الخلفاء الأقوياء في العصر الأموي، إلى أن جاء للخلافة الوليد بن يزيد، وهو من بني أمية ممن أحبوا البادية وشغفوا ببناء القصور فيها(١)، كما اشتهر بحبه لملذاته المادية عن أمور الدولة، وفي عهده ارتكب كثير من الأخطاء، فأساء معاملة بني أمية وبالغ في الانتقام والتشفي من أسرة عمه هشام بن عبد الملك، مما أثار عليه بني أمية أنفسهم، كما أثار عليه اليمانية، وذلك حينما أساء معاملة خالد بن عبد الله القسري، ثم قتله، كما حبس ابنه يزيد بن خالد(٢). الذي تمكن من الهرب وانضم إلى اليمانية والمعارضين من بني أمية بزعامة ابن عمه يزيد بن الوليد بن عبد الملك وحرضوه على أخذ البيعة لنفسه، فاستولى على دمشق وأرسل جيشاً إلى الوليد الذي كان يقيم في

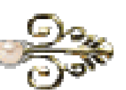
---

(١) بنى الوليد بن يزيد عدد من القصور الهائلة في البادية حينما كان أميراً ومنها قصر عمرة، وينسب إليه بناء قصر المشتى وكلاهما في صحراء شرق الأردن، كما كانت له قصور عدة في البلقاء مثل الأزرق والأغداف واللؤلؤة.

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٤، ص ٢٥٦ .

(٢)ابن قتيبة : الإمامة والسياسة ، جـ٢، ص ٣١١. ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ١، ص ٢٣٩ .





البادية هرباً من الطاعون وهاجموه في قصر الأغداف وقتله ابن عمه يزيد واستولى على الخلافة في سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م. (١)

وكان زعيم الجذاميين في فلسطين آنذاك سعيد بن روح بن زنباع الجذامي، ولما سمع بمقتل الخليفة الوليد بن يزيد جمع قومه وأرسل إلى أكبر أبناء سليمان بن عبد الملك ليوليه أمر فلسطين، وكان أبناء سليمان بن عبد الملك قد نشأوا في فلسطين في مدينة الرملة عاصمة الإقليم، وقد أحبهم أهل فلسطين ومالوا إليهم، ولهذا نهض سعيد بن روح بن زنباع وطلب من يزيد بن سليمان بن عبد الملك أن يتولى فلسطين، قبل يزيد وأجابه الجذاميون إلى ذلك وتمت البيعة. (٢)

وكتب سعيد بن روح إلى عامل فلسطين، وطلب منه أن يغادر البلد، لأن أمر الخلاقة أصبح غير مستقر وأنهم سوف يولون أمرهم رجلاً يرتضونه لأنفسهم، وأجمع الجذاميون في فلسطين على الاستقلال عن الخليفة يزيد بن الوليد في دمشق، بل

---

(١)ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٤، ص ٢٠٩ – ٢١٢ .

(٢)الطبري : المصدر السابق ، جـ٧، ص ٢٦٦ . ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٢٩٢– ٢٩٤. ابن كثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ١٢ .

وخرجوا لقتاله رغم أنه كان جاداً في محاولاته لإصلاح الأحوال وجمع زمام الأمر في يده. (١)

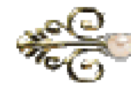
ولما علم جند الأردن بثورة فلسطين على الخلافة في دمشق ثاروا أيضاً، وبلغ الخبر الخليفة يزيد بن الوليد فأرسل لحرب الثوار جيشاً عدده أكثر من ثمانين ألفاً من أهل دمشق، واستطاع أن يقمع ثورة الأردن ثم سار إلى جند فلسطين ونزل عاصمته الرملة، وأخضعها وأخذ من أهلها البيعة للخليفة وولي عليهم ضبعان بن روح بن زنباع سنة ١٢٦هـ/ ٧٤٤م. (٢)

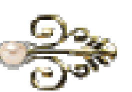
وهكذا فإنه وعلى ما يبدو أن الخليفة يزيد بن الوليد كان يفكر في مصلحة الأمة عامة، وليس مصلحة أهل فلسطين أو الشام وحدهم، فلما قامت ثورات أهل الأردن وفلسطين وهي لمصالح قبلية وزعامات محلية، نجح في إخمادها، ولكنه لم يستطع أن ينفذ سياسته وذلك لأن عهده كان قصيراً فلم يستمر إلا

---

(١) ابن كثير : المصدر نفسه ، جـ١٠ ، ص ١٢- ١٣ . محمد علي مغربي : تاريخ الدولة الأموية ، جـ٢، ص ١١١٧.

(٢) الطبري : المصدر السابق : جـ٧، ص ٢٦٦- ٢٦٨ . ابن كثير : المصدر السابق ، جـ١٠ ، ص ١٣.





سنة واحدة، حتى أن إخضاعه لفلسطين كان مؤقتاً، وذلك لأن الدولة كانت في اضمحلال تام مما جعل القبائل تميل إلى زعاماتها المحلية في أنحاء بلاد الشام، وهذا يؤكد ما ذكره ابن خلدون(١) من أنه : " إذا نزل بالدولة الهرم وتقلص ظلها يحتاج أهلها ... إلى القيام بأمرهم والنظر في حماية بلدهم، ويرجعون إلى الشورى في شئونهم.. ويبحث كل منهم عن الشيع والاتباع والموالي والأحلاف".

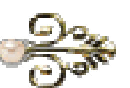
كان مروان بن محمد وهو آخر خلفاء بني أمية، طامعاً في الخلافة واستولى عليها الخلافة سنة ١٢٧هـ/٧٦٤م بعد أن اتخذ من مقتل الوليد حجة للثورة على يزيد، واستطاع الوصول للخلافة وبايع له زعماء الشام، وطلب منهم أن يختاروا لهم أمراء يوليهم عليهم، فاختار أهل كل بلد أميره فولاه عليها، واختار أهل فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي. (٢)

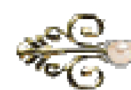
وعلى الرغم من هذه الحرية التي أعطاها مروان للناس في الشام لاختيار ولاتهم، فقد ثار أهل غوطة دمشق وحاصروا

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٦٥ .

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ٥، ص ٣٢٩ .





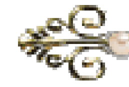
العاصمة ولكن مروان أخضعهم، ثم ثار بعد ذلك أهل فلسطين بزعامة ثابت بن نعيم والي الجند، حيث كان يمثل الجذاميين في المعارضة لخلافة بني أمية. (١)

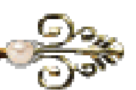
ولم يكتف ثابت بن نعيم بالثورة على الخلافة في فلسطين وحدها، وإنما كتب إلى أهل حمص يحرضهم على مروان فأجابوه إلى ذلك، فخرج ثابت بأهل فلسطين وجند الأردن وحاصر عاصمته طبرية، فأرسل إليه مروان جيشاً من دمشق وأجلاه عن طبرية واستباح عسكره وفر ثابت إلى جند فلسطين ولكن جيش الخليفة تبعه وهزمه وتفرق عنه أصحابه. واستطاع مروان الوصول إلى مخبأه، وأمر بقطع يديه ورجليه وصلبه على باب مدينة دمشق مع اتباعه(٢). ويتضح من خلال ما سبق، أن الجذاميين لم يؤيدوا

---

(١) أبو الفداء : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ١٢٧ . واستطاع مروان بن محمد أن يصل إلى دمشق ويحتلها، فهرب الخليفة ابراهيم بن الوليد، أما مروان بن محمد فقد سيطر على الشام، وعزم على أن ينقل مركز خلافته إلى حران، فأحس أهل الشام بأن السيادة انتزعت منهم وانتقلت إلى الجزيرة الفرانية، وهذا كسباً للقيسية في الجزيرة لذلك ثارت عليه فلسطين بقيادة نعيم ثم امتدت إلى حمص وتدمر والغوطة.

(٢)ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ٣، ص ٢٣٢– ٢٤٣ . محمد علي مغربي : المرجع السابق ، ص ١١٤٨ .





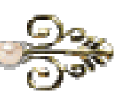
مروان بن محمد بالرغم من قضاءه على ثورة أهل فلسطين والأردن وانتصاره عليهم.

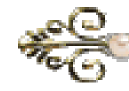
وبينما كان مروان بن محمد يخوض الحروب في الشام، كانت الأقاليم الإسلامية كلها تضطرب، في الوقت الذي كانت الفرصة مواتية لمنافسيهم، فاستطاع بنو العباس من خلال دعامتهم أن يعلنوا دعوتهم ويظهروا دولتهم، في وقت كان مروان منشغل بأمر الفتن في الشام والعراق والحجاز، وخراسان.

ولم يستطع أن يصد الخطر العباسي، فانهزم الخليفة مروان بن محمد أمام زحف العباسيين على ضفاف أحد روافد الفرات، وتراجع إلى فلسطين، وكانت حينذاك قد تغلب عليها الحكم بن صنعان بن روح بن زنباع الجذامي وأخذها من الرماحس الكناني والذي ولاه مروان على فلسطين، واستجار الخليفة مروان بعبد الله بن يزيد بن روح بن زنباع، ومكث عنده، ثم انتقل إلى مصر حيث انتهى أمره فيها. (١)

---

(١) محمد على مغربى: المرجع نفسه ، ص ١٢٩٦.





الخاتمة

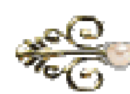
- كانت فلسطين في العصر الأموي، ذات مكانة كبيرة لدى الخلفاء الأمويين، وذلك ليس فقط لأهميتها الدينية والتاريخية، وإنما لأنها كانت تمثل عصب الجند الأموي، والحصن المنيع للخلافة. ويظهر ذلك واضحاً منذ أن أصبح معاوية بن أبي سفيان والياً عليها من قبل الخلافة الإسلامية، حيث استطاع أن يقر أمورها، فسلمت بلاد الشام وفلسطين من النزاعات التي كانت في بعض أقاليم الدولة الإسلامية الأخرى، ودان أهلها بالولاء لمعاوية، وقاتلوا معه في صفين.

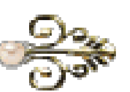
وعندما آلت الخلافة لبني أمية، وقفوا معهم وشاركوهم في كثير من الأحداث السياسية، وكانت فلسطين من أهم عناصر القوة والدعم السياسي لبني أمية، فتكتلوا حول بني أمية لمساندتهم وصد الأخطار عنهم.

- استقرت في فلسطين عدد من القبائل العربية والتي هاجرت من اليمن في فترات سبقت ظهور الإسلام

وبعده، وكذلك هجرات صاحبت الفتوحات الإسلامية، فلما كان مطلع العصر الأموي، ونتيجة للامتيازات التي حظيت بها هذه القبائل، فقد شهد التوزيع القبلي في فلسطين عملية استقرار، حيث استوطنت بها القبائل اليمانية، واستمرت هجراتها تتدفق على المنطقة حتى بعد الفتح الإسلامي، بالإضافة إلى هجرات القبائل القيسية والتي صاحبت الفتوحات الإسلامية.

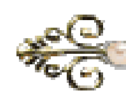
- وهكذا انقسمت القبائل العربية في فلسطين إلى قسمين وهم اليمانية من جنوب الجزيرة العربية، والقيسية وهم عرب الشمال، وكانت اليمانية هي الأسبق في هجرتها إلى فلسطين وبلاد الشام.
- احتلت هذه القبائل مكانة كبيرة لدى خلفاء بني أمية، وتعاونوا معهم، واحتكوا بالأحداث السياسية التي مرت بالبلاد، وكان من المظاهر البارزة في السياسة الأموية والتي اتبعتها الخلافة الأموية مع القبائل العربية في فلسطين والشام، إلغاء التمييز بين القيسية واليمانية والتركيز على الوحدة السياسية، حتى يحافظوا على

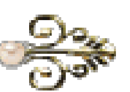




التوازن، ويخففوا من حدة العصبية القبلية، إلا أن هذه السياسة أخذت في الاختفاء في بعض عهود خلفاء بني أمية، مما أدى إلى الفرقة، وعودة الصراع، وكانت من أسباب سقوط الخلافة.

- احتلت القبائل اليمانية مكانة بارزة في السياسة والإدارة وخاصة بنو كلب فاهتم بني أمية بأمرهم لتميزهم بالكثرة، وخبرتهم ومهارتهم في الحروب، والتي اكتسبوها من هجرتهم المبكرة ومجاورتهم للبيزنطيين، فشكلوا في العصر الأموي أعلى نسبة في الجند الأموي، وأصبحوا أساساً للجيش العربي في العصر الأموي، كما صاهروا البيت الأموي. وأصبحوا أخوال أبنائهم، وظلوا على ولائهم لبني أمية حتى أواخر العصر الأموي. كما كان لهم دور كبير في إبقاء الخلافة في أيدي بني أمية في الجابية بعد أن كادت تزول منهم.
- سكنت معظم القبائل اليمانية في فلسطين البادية، وانتقل بعضهم إلى المدن نتيجة التطورات السياسية والإدارية، وكان العنصر اليمني هو الغالب في بلاد الشام





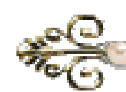
وفلسطين، أما القيسية فقد استوطنوا الجزيرة الفراتية وشمالي بلاد الشام.

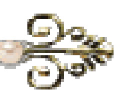
- حظيت فلسطين باهتمام الخلفاء الأمويين، فعملوا على تعميرها وبنو فيها المساجد والقصور، ولم يقتصر هذه الاهتمام بالمدن وإنما انتقل إلى البادية، حيث مالوا لحياة البادية، وبنوا القصور الفخمة ليمكثوا فيها من فترة لأخرى، طمعاً في العودة لحياة الصحراء والهواء المنعش لكونهم عرباً قد ألفوا هذه الحياة من قبل. أو حرصاً منهم على تنشئة أبنائهم في بيئة عربية خالصة بعيداً عن المدن. وقد يكون هرباً من مرض الطاعون الذي كان ينتشر في بلاد الشام من فترة إلى أخرى.
- كانت قبيلة جذام من القبائل العربية الهامة التي سكنت في فلسطين، إلا أنها لم تخضع للأمويين كل الخضوع مثل قبيلة بني كلب، وقد ثارت على الخلافة الأموية مرات عديدة، ومع ذلك استطاعت أن تنجوا من بطشهم بفضل جهود زعيمهم روح بن زنباع الذي وقف مع

الخلافة الأموية وساندها في كثير من الأزمات، واستطاع أن يسترد مكانة الجذاميين في فلسطين.

- في أواخر العصر الأموي، تولى الخلافة عدد من الخلفاء الضعفاء مما أدى إلى اضطراب الأمور في الدولة، وانعكس ذلك على فلسطين وبلاد الشام، وأصبحت بلاد الشام وفلسطين من أكبر مراكز القلق، بعدما كانت متكتلة حول البيت الأموي، وكانت السند والعضد للخلافة الأموية، ويظهر ذلك واضحاً في ثورات فلسطين وبلاد الشام في عهد مروان بن محمد. حيث قامت الثورات في فلسطين الواحدة تلو الأخرى، إلى أن انتهى أمر الخلافة الأموية على يد أنصار الدعوة العباسية.

ويتضح من الدراسة أنه بعد أن كان أهل فلسطين يقومون على حماية الخلافة ويذودون عنها الأخطار، بالإضافة إلى ولائهم للأمويين، تغير ولاء أهل فلسطين بسبب قتل الأمويين بعضهم بعض، وتفشي العصبية القبلية، فانقلبوا عليهم مما أدى إلى اضطراب أمورهم، فانقصمت العروة الوثقى التي كانت تربطهم





بالخلافة الأموية، ووهنت القوة التي كانت تدافع عنهم. فهيأ الله للعباسيين أسباب الظفر، بضعف الأمويين، واختلاف جندهم، فانتهى أمرهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر :

١) ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن اثير الجزري (ت٦٣٠هـ)

- أسد الغابة في معرفة الصحابة. تحقيق محمد ابراهيم البنا وآخرون، طبعة دار الشعب، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م.
- الكامل في التاريخ. دار صادر، بيروت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

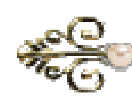
٢) الأصطخري: أبو اسحاق ابرهيم محمد الفارسي الاصطخري المعروف بالكرخي (ت٣٣٠هـ)

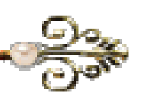
- المسالك والممالك . تحقيق د. محمد جابر عبد العال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٣٨١هـ/ ١٩٦١م.

٣) الأصفهاني: ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت٣٥٦هـ)

- مقاتل الطالبين. دار الكتب، بيروت، ١٩٥٩م.

٤) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي (ت٢٧٩هـ)





- أنساب الأشراف. تحقيق د. محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة ، ١٩٥٩م.
- فتوح البلدان. تحقيق د. صلاح الدين منجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٥) الجهشياري: ابو عبد الله محمد بن أسيد بن عبد الله (ت ٣٣١هـ)

- الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا، وابراهيم الإبياري، وعبد الحفيظ شلبي، مطبعة البابي، مصر، ط٢، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦) ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي (توفي في أواخر القرن الرابع الهجري)

- صورة الأرض. طبعة ليدن، ١٩٣٨م.

٧) ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد المغربي (ت٨٠٨هـ)

- تاريخ ابن خلدون. دار النهضة ، مصر، ط٣، القاهرة.
- المقدمة. مطبوعات الحاج عبد السلام محمد بن شقرون، القاهرة، ١٣٢٢هـ.

٨) ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم (ت٦٨١هـ)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق د. إحسان عباس، دار الفكر ودار صادر ، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٩) الدينوري، أحمد بن داود (ت٢٨٢هـ)

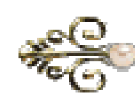
- الأخبار الطوال. تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ، ط١، ١٣٨٠هـ.

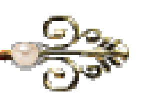
١٠) الذهبي : أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت٧٤٨هـ)

- دول الإسلام. تحقيق محمد فهيم شلتوت، ومحمد مصطفى ابراهيم ، الهيئة المصرية العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م.
- العبر في خبر من غبر. تحقيق صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٠م.

١١) ابن سعد: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منبع (ت٢٣٠هـ)

- الطبقات الكبرى. طبعة ليدن، ١٣٢٢هـ.





١٢) **سعيد بن بطريق : افتيشيوس المكنى سعيد بن بطريق**

- التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق. طبع في بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٥م.

١٣) **الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ)**

- تاريخ الرسل والملوك. تحقيق أبو الفضل ابراهيم، مطبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦م.

١٤) **ابن عبد ربه: أبو أحمد بن محمد**

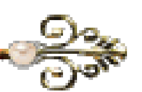
- العقد الفريد. دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٢م.

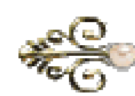
١٥) ابن **العبري : غريغوريوس أبو الفرج أهرون المعروف بابن العبري (ت٦٨٥هـ)**

- تاريخ مختصر الدول. المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط٢، ١٩٥٨م.

١٦) **أبو الفداء : عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر المعروف بأبي الفداء (ت٧٣٢هـ)**

- تقويم البلدان. دار الطباعة السلطانية ، باريس، ١٩٨٤م.
- المختصر في أخبار البشر. المطبعة الحسينية المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٠٧م.





١٧) ابن قتيبة : أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)

- الإمامة والسياسة. مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٥م.

١٨) القزويني : زكريا بن محمد بن محمود (ت٦٨٢هـ)

- آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.

١٩) القلقشندي : ابو العباس أحمد بن علي (ت٨٢١هـ)

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

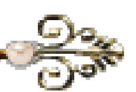
٢٠) ابن كثير: عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر بن كثير (ت٧٧٤هـ)

- البداية والنهاية. مكتبة المعارف ، ط٦، بيروت، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٢١) مجهول :

- العيون والحدائق. مكتبة المثنى، بغداد (د.ت).





٢٢) المسعودي: أبو الحسن بن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٥هـ)

- التنبيه والأشراف. مراجعة عبد الله اسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية ، القاهرة، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر ، ط٤، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م.

٢٣) المقدسي : محمد بن أحمد المقدسي (ت٣٩٠)

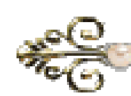
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. تعليق غازي طليمات، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٨٠م.

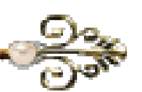
٢٤) ابن هشام: ابو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢٧٨هـ)

- السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا وابراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي، القاهرة، ١٣٧٥هـ.

٢٥) ياقوت: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)

- معجم البلدان. دار صادر ، بيروت، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.





٢٦) اليعقوبي : أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (ت٣٨٤هـ)

- البلدان. طبعة ليدن، ١٨٩١م.
- تاريخ اليعقوبي. دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م.

ثانياً : المراجع العربية والمعربة :

١. ابراهيم العدوي/

- الأمويين والبيزنطيين، الدار القومية، القاهرة، ١٩٦٦م.

٢. أحمد شلبي/

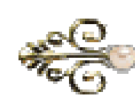
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية (الدولة الأموية نشأتها)، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٤م.

٣. ثيودور نولدكة/

- أمراء غسان ، نقلها للعربية د. جوري، ود. قسطنطين زريق، بيروت، ١٩٣٣م.

٤. جواد علي/

- تاريخ العرب قبل الإسلام، المجمع العلمي الوافي، بغداد، ١٣٧٤هـ/ ١٩٤٥م.





٥. **عبد المنعم ماجد/**

- التاريخ السياسي للدولة العربية ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٧، القاهرة، ١٩٨٢م.

٦. **عمر الصالح البرغوثي /**

- تاريخ فلسطين ، مطبعة بيت المقدس، القدس، ١٩٢٣م.

٧. **فاروق عمر فوزي، ومحسن محمد حسين/**

- الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي الوسيط، دار الشروق، الأردن، ١٩٩٩م.

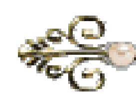
٨. **فلهاوزن/**

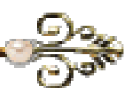
- تاريخ الدولة العربية ، نقله للعربية محمد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٥٨م.

٩. **فتحي عثمان/**

- الحدود الاسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحربي، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، ١٩٦٦م.

١٠. **فيليب حتى /**





- تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، دارالكشاف، بيروت، ١٩٥٧م.

١١. **لي سترانج/**

- فلسطين في العهد الإسلامي ، ترجمة محمود عمايري، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ، عمان ، ١٩٧٠م.

١٢. **محمد أحمد باشميل/**

- العرب في بلاد الشام قبل الإسلام، دار الفكر، ١٩٧٣م.

١٣. **محمد علي مغربي/**

- تاريخ الدولة الاموية. مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ط١، ١٤٠٩/١٩٨٩م.

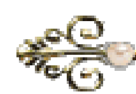
١٤. **محمد كرد علي/**

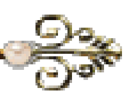
- خطط الشام . المطبعة الحديثة، دمشق، ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م.

١٥. **محمود العابدي/**

- قدسنا، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٢م.

١٦. **نبيه عاقل/**





- فلسطين من الفتح العربي الإسلامي إلى أواسط القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مطبعة القدس، ١٩٢٣م.

١٧. **يوسف حسن غوانمة /**

- القدس وفلسطين والأردن في العصر الإسلامي. دار الفكر للطباعة والنشر، عمان- الأردن، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

<u>ثالثاً المراجع الأجنبية :</u>

- K.A.c. Creswell, Early Muslim Architecture, Oxford, 1932-1940.
- Ostrogorsky. G. Histosry of the Byzatine state, translated by J.Hassey .